الجملة الطويلة
في القرآن الكريم

الأستاذ
د. علي ناصر غالب
كلية التربية - جامعة بابل

المقدمة

حفلت دراسات المحدثين بالجملة وأقسامها وعرضت جهد النحويين القدماء واختلافهم في تقسيم الجملة وتبيين دورها الثانوي حين تنوب عن المفرد إذ كان هدفهم منصباً على الجملة القصيرة المجتزأة من نص لغوي رفيع كالقرآن الكريم أو الشعر العربي القديم، وظل هدفهم تقريب القواعد النحوية إلى أذهان المتعلمين وسرى ذلك إلى مناهج التعليم على اختلاف مستوياتها وطغت الأمثلة التعليمية على الشواهد الحية في كثير منها.

وقد عني هذا البحث بالكشف عن شكل من أشكال الجملة لم ينتبه إليه الدارسون في اغلب الظن، وهو الجملة القرآنية التي تمتد إلى مساحة قولية كبيرة تكتنف عدداً من الجمل القصيرة وذلك عبر آليات تزخر بها اللغة، إن هذه الجملة موجودة في القرآن الكريم والشعر وبعض نماذج النثر الفني، وقد انصب البحث على هذه الجملة على القرآن الكريم بوصفه معين علماء العربية في مجال الاستشهاد.

ويهدف البحث إلى الكشف عن الوسائل اللغوية التي تمتد الجملة بها منها

العطف الذي يفصل بين العناصر المتلازمة نحوياً ولا سيما في جملة إنّ واسمها وخبرها أو المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل، زيادة على ذلك فإنه يكشف عن امتداد الجملة بأساليب لغوية عدة نحو أسلوب الشرط أو القسم أو النداء وجمل أخرى نحو مقول القول أو صلة الموصول وما إلى ذلك.

عن هذه الطريقة في النظم لا تتاح إلا لمن امتلك اللغة وخبر أسرارها وهي بالتالي وسيلة لغوية راقية تشدّ المتلقي وتشوقه إلى تمام الجملة. لذلك يبقى القرآن الكريم مثالاً رائعاً يقتدى به في مجال بناء الجملة الطويلة ولا سيما لغة الأدب والشعر.

إن هدف البحث ليس استقراء الجمل الطويلة في القرآن الكريم بقدر ما عني بالتوكيد على الآليات والأساليب التي تمتد بها الجملة لتتخذ مثالاً في مجال الإبداع الفني لما فيها من جمال في التأليف قل نظيره. هذا ومن الله التوفيق.

الجملة في النظر النحوي

ليس بجديد الخوض في مفهوم الجملة فقلما نجد كتاباً في النحو خلا من ذكر الجملة وعناصرها لأنها المادة النحوية الأولى في النحو العربي. واول كتاب بين أيدينا ألَمّ بالجملة وعناصرها إلماماً كاملاً هو كتاب سيبويه الذي جاء فيه: "هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بُدّاً فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك ومثل ذلك: يذهب عبد الله فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم بُدٌّ من الآخر في الابتداء، ومما يكون بمترلة الابتداء قولنا: كان عبد الله منطلقاً وليت زيداً منطلق، لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده"(١).

---

(١) الكتاب: ١/٢١.

فقد ذكر سيبويه حقيقة الجملة بكاملها في كونها مادة المتكلم التي يحتاج إليها للتعبير، وقد اجتزأ سيبويه اصغر وحدة لغوية تدل على معنى وَمثّلَ لها بقوله: عبد الله أخوك وهذا أخوك، وهما جملتان اسميتان، وجملة يذهب عبد الله وهي فعلية، وذكر ما يكون بمترلة هذه الجمل مما يحتاج إلى ما يكمل معناه ومثّل له بقوله: كان عبد الله منطلقاً، وليست زيداً منطلق، وحدد كذلك عنصري الجملة وهما المسند إليه وهو المتحدَّثُ عنه وهو محور آية جملة، المسند وهو ما يبني على المسند إليه أو ما يخبر به عنه.

إنّ نصّ سيبويه صريح تضمّنه مفهوم الجملة وفحواها مما تعاقب اللاحقون من النحويين على تفصيله، لكن اللافت للنظر ان سيبويه اعتمد أمثلة تعليمية لتحديد ذلك المفهوم وذكر عناصره.

وعلى نهج سيبويه خص ابن جني عناصر الجملة بالحديث فقال: 'الجمل إنما تتركب من جزأين جزأين: إما اسم واسم نحو: المبتدأ وخبره،وإما فعل واسم نحو الفعل والفاعل وما أقيم من المفعولين مقام الفاعل، ولا بد في كل واحدة من هاتين الجملتين إذا عقدت من اسم يسند إليه غيره'(٢).

وقد أطلق مصطلح (الكلام) مرادفاً الجملة المفيدة غيُر واحد من النحويين منهم ابن جني الذي يرى أن 'صورة الجمل وهو ما كان من الألفاظ قائماً برأسه غير محتاج إلى متمم له، فلهذا سمّوا ما كان من الألفاظ تاماً مفيداً كلاماً'(٣). والى ذلك ذهب عبد القاهر الجرجاني فقال: 'وإنما سمي كلاماً ما كان جملة مفيدة نحو: زيد منطلق وخرج عمرو'(٤). وذهب الزمخشري إلى ان مصطلح الجملة والكلام يترادفان(٥)، وتابعه ابن يعيش وقال: 'الكلام عبارة عن

---

(٢) سر صناعة الأعراب: ٢٨٨/١.

(٣) الخصائص : ٢٢/١.

(٤) المقتصد ٦٨/١.

(٥) المفصل :٦

الجمل المفيدة وهو جنس لها فكل واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له ويصدق إطلاقهُ عليها (٦).

وخالف ابن هشام بعض متقدمي النحويين فيما ذهبوا إليه ورأى أنَّ المصطلحين غير مترادفين وإنما الجملة اعمّ من الكلام وآخذ الزمخشري لانه رادف بينهما وحجته في ذلك ان الجملة اعم لان شرط الكلام الإفادة والجملة غير مفيدة أحياناً فقال: 'ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط وجملة الجواب وجملة الصلة وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام' (٧)، فالكلام على رأيه هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها لذا فالجملة تطلق على المفيد وغير المفيد والكلام يطلق على المفيد فهو أخص منها.

وقد ثبت في دراسات النحويين ان مصطلح الجملة هو الذي استقر وهي التي تؤدي معنى تاماً لا يخرج في اصغر صوره عن ان يكون جملة اسمية أو جملة فعلية، ومجمل آراء النحويين لا يخرج عما قرره الخليل وسيبويه في ان الجملة إما ان تكون اسمية أو فعلية وهي اصغر وحدة لغوية دالة على معنى.

ان اجتزاء الجملة بصورتها البسيطة جاء لاجل تيسير القاعدة النحوية وضبط أحكامها ثم جرى البحث في عناصر الجملة من مبتدأ وخبر وفعل وفاعل وغيرها من العناصر بالاعتماد على الجملة المجتزأة. وقد غلب على هذه الجمل أنها جمل مصطنعة اصطنعها النحاة للتمثيل وتقريب القاعدة النحوية للدارسين ولا تخرج هذه الجمل عن الأمثلة التعليمية الكثيرة التي زجها النحاة في أثناء دراساتهم النحوية وبالغوا في هذا النهج فاصطنعوا أمثلة لا نظير لها في عربيتنا الفصحى.

وقد اجتهد النحويون في تقسيم الجمل فذهب أبو علي الفارسي وتبعه

---

(٦)شرح المفصل : ٢١/١.

(٧)مغني اللبيب: ٤١٩/٢.

الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى أنها أربعة أقسام هي الاسمية والفعلية والشرطية والظرفية(٨). ونقل الزمخشري عن أبي علي الفارسي قسمة الجملة على أربعة أقسام، فعلية واسمية وشرطية وظرفية(٩). وقسمها ابن هشام تقسيما على أنها اسمية وفعلية وظرفية(١٠). زيادة على ذلك قام بتقسيمها على وجه آخر هو وقوعها موقع المفرد فهي جمل لها محل من الأعراب وجمل لا محل لها من الإعراب(١١). وقد شاع بين المحدثين ان هذا التقسيم ابتدعه ابن هشام لكن الحقيقة ان هذا التقسيم سبقه إليه ابن جني وابن يعيش وغيرهما(١٢).

وقسمت الجملة على جملة صغرى وجملة كبرى وعرف لدى الدارسين ان هذا التقسيم من اجتهاد ابن هشام وقد سبقه ابن يعيش إلى هذا التقسيم فقال في باب الاشتغال: "فإذا قلت: زيدٌ لقيتُه، ففيه جملتان إحداهما اسمية وهي الجملة الكبرى التي هي المبتدأ والخبر وهي (زيد لقيته) بكمالها، والثانية فعلية وهي الخبر الذي هو (لقيته) وهي الجملة الصغرى، فالجملة الأولى لا موضع لها من الإعراب لأنها لم تقع موقع المفرد والجملة الثانية لها موضع من الإعراب لأنها وقعت موقع المفرد الذي هو الخبر في: زيد قائم وشبهه"(١٣).

إنّ هذا التقسيم يراعي ان يكون في الجملة طرفان أحدهما يكمل الآخر فالخبر إما ان يكون بسيطاً وبهذه الحال تكون الجملة صغرى مثل: زيد قائمٌ أو تكون الجملة محتوية على جملة أخرى تقوم مقام الخبر فتصبح الجملة جملة كبرى حين تتنوع عناصر الإسناد فيها ويكون للصغرى دور ثانوي. وعلى

---

(٨) المقتصد في شرح الإيضاح: ١/٢٧٣ – ٢٧٤.

(٩)شرح المفصل :١/٨٨.

(١٠)مغني اللبيب :٢/٤٣.

(١١)مغني اللبيب :٢/٤٦.

(١٢)شرح المفصل: ٢/٣٣.

(١٣)شرح المفصل: ٢/٣٣.

الرغم من انتباه ابن يعيش إلى هذا الضرب من الجمل لكنه يختار مثلاً تعليمياً لتوضيح ما يرمي إليه.

إنّ تعريف الجملة بأنها ‘الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد... هي المركب الذي يبيّن المتكلم به ان صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما حال في ذهن المتكلم إلى ذهن سامع’ (١٤)، يقيد الجملة المجتزأة التي تتألف من عنصرين مبتدأ وخبر وفعل وفاعل يجعل الاهتمام ينصب على الجملة التعليمية التي انشاها النحاة. وعلى الرغم من ان توجه النحاة إلى المثل التعليمي لا يعد مأخذاً لكنه حجب النظر عن واقع الجملة في اللغة الحية وهي لغة القرآن الكريم ولغة الشعر العربي بعصوره كلها، فهنالك أمثلة عدة تبين ان لغة القرآن والشعر وبعض النماذج الرفيعة من النثر جاءت فيها الجملة معقدة وممتدة إلى مساحة قولية تكتنف جملاً قصيرة هي عناصر الجملة الطويلة.

وإذا ما أخذنا بالحسبان الفائدة المتحققة من الجملة فان هذه الفائدة لا تتحقق في بعض الجمل إلا عبر امتدادها بواساطة تنوع أحد عنصريها وتعدده فيأتي المبتدأ ويتأخر الخبر عبر مساحة من القول تشغلها جمل قصيرة.

وقد أخذت بعض وسائل اللغة والياتها دورها في امتداد الجملة في القرآن الكريم في أنماط من البناء الجملي الطويل الذي تحقق في القرآن في مواضع متفرقة سيكشف البحث عن قسم منها لما لها من اثر واضح في ما نذهب إليه.

أنماط الجملة الطويلة في القرآن الكريم

١. جملة إنّ واسمها وخبرها:

وردت الجملة طويلة من استعمال إنَّ واسمها وتأخر خبرها بعد مساحة من القول وفي ذلك يكون للعطف دور مهم في الامتداد والربط بين عناصر هذه

(١٤) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣١.

الجملة ففي قوله تعالى حدُّه: [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا] (النساء / ١٥٠ – ١٥١)

فامتد الجملة المؤلفة من ان واسمها وخبرها وذلك بفعل ان اسمها اسم موصول (الذين) الذي يستدعي صلة الموصول هي جملة (يكفرون بالله ورسله) وبوساطة العطف بالواو تنوعت هذه الصلة وهي: يكفرون بالله ورسله

ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله

ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض

ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا

فقد فصل بين اسم ان وخبرها الذي يتصدر الآية التالية وجاء جملة اسمية هي [اولئك هم الكافرون حقاً].

ان تنويع صلة الموصول جاء يشمل الكافرين في صفاتهم جميعها وقد ترك تشوّقاً لدى المتلقي ليعرف خبر ان سواء أكان من المؤمنين أم من الكافرين. ان الفائدة لا تتحقق من الجملة إلا بعد تمامها فقد انضوت تحت هذه الجملة الطويلة جمل قصيرة تراكمت بواساطة العطف لتستوفي المعنى بأقطاره جميعها وتحقق عنصر التشويق لدى السامع أو القارئ.

ومما جاء على هذا النمط قوله تعالى:

[إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ] (المؤمنون/ ٥٧ – ٦١).

فيما تقدم جاء اسم ان اسما موصولاً (الذين) الذي استدعى صلة الموصول فتنوعت وتكرر الاسم الموصول ويمكن تبين هذا البناء لو رتبنا الآيات بشكل عمودي لنرى امتداد الجملة وطولها والمساحة التي شغلتها:

إنّ + الذين + هم من خشية ربهم مشفقون

و + الذين + هم بآيات ربهم يؤمنون

و + الذين + هم بربّهم لا يُشركون

و + الذين + يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ انهم إلى ربهم راجعون

أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون

فقد بنيت هذه الجملة الطويلة على إنّ واسمها الذي جاء اسماً يفتقر إلى صلة ساهم في مد الجملة وتكرر هذا الاسم أربع مرات وجاءت صلة الموصول في توازن نحوي بين عناصر التركيب ابتداءً بضمير جماعة الغائبين (هم) والجار والمجرور المتعلق بما بعده على الرغم من انه ليس توازناً كاملاً يشمل الآيات كلها.

إنّ التنويع في صلة الموصول وتأخير خبر إنّ: [أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ] عبر مساحة قولية كبيرة زيادة على ان خبرها جاء جملة تصدرها اسم الإشارة (أولئك) الذي امتلك شحنة إشارية عالية إلى (الذين) وصلتها في أربع آيات من الأمور التي جعلت الجملة طويلة، وهذا الطول في الجملة خلق تشوّقاً للقارئ لمعرفة الخبر وهذا ما تفتقر إليه الجمل التعليمية وهو من الأمور التي تدل على متانة العبارة القرآنية وحسن سبك الألفاظ فبقيت عناصر التركيب يتعلق بعضها ببعض بوساطة العطف بالواو.

ومما جاء في مجال جملة ان واسمها وخبرها قوله تعالى:

[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ](البقرة / ١٦٤).

فحين نمعن النظر في الآية الكريمة نجد المعنى لا يستقيم إلا بتمامها فالآية مؤلفة من ان وخبرها المتقدم الذي تنوع بوساطة العطف وتأخر اسمها

الذي دخلت عليه اللام وهو قوله تعالى [لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]، ولو وزعنا الآية الكريمة بطريقة عمودية لامكن ان نتبين اثر العطف في امتداد الجملة وطولها:

ان + في خلق السماوات والأرض

واختلاف الليل والنهار

والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس

وما انزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها

وبثَّ فيها من كلٌ دابةٍ

وتصريف الرياحِ

والسحاب المسخّر بين السماء والأرض

لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ.

إنّ هذا التنوع من الجمل نصطلح عليه بالجملة الطويلة المعقدة في تركيبها التي تكتنف جملاً قصيرة لها دور في امتداد الجملة وإثارة التشوق لدى المتلقي بما يثير انبهاره بآيات الله سبحانه، فلا يمكن اختصار هذه الجملة ولا يمكن الاستغناء عن أي جزء من أجزائها وان دور العطف جاء ليعطي صورة جديدة في كل مرة من صور القدرة الإلهية العظيمة المتمثلة بآيات الله وقدرته التي لا تحدها حدود.

٢. جملة الشرط

ومن أمثلة الجمل الطويلة في القرآن الكريم جملة الشرط التي تستدعي في بنائها أداة شرط وفعل شرط وجوابه ففي قوله تعالى: [قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] (التوبة/ ٢٤).

ان المتأمل في الآية الكريمة يرى فيها ضرباً من البناء الجملي الطويل الذي تتآزر فيه جملة الشرط المؤلفة من أداة الشرط وفعل شرط وجوابه

المتأخر، وجملة كان الناقصة واسمها الذي يتنوع بوساطة العطف فيأتي خبرها متأخراً فتنوع اسم كان في قوله: (آباؤكم، أبناؤكم، إخوانكم، أزواجكم، عشيرتكم، أموال اقترفتموها، تجارة تخشون كسادها، مساكن ترضونها) وجاء خبر كان اسم تفضيل تطلّبَ إطالة في الكلام وهو [أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ]. وبعد ان تتم جملة كان واسمها وخبرها التي شكلت بدورها فعل الشرط تأتي جملة جواب الشرط وهي قوله عزّ وجلّ: [فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ].

ان هذا البناء الذي يزخر بثراءٍ لغوي لا يمتلكه أيٌّ كان قادر على شدّ بعضه بعضاً عبر استعمال الية العطف، زيادة على ذلك فان جملة مقول القول التي يعدها بعض النحويين جملة المفعول به تؤدي إلى مدّ الجملة ليس في هذا الموضع من القرآن الكريم فحسب بل في مواضع عدة من القرآن نحو سورة الناس وسورة الفلق وسورة الإخلاص وسورة الكافرون والأقوال التي رويت على ألسنة الأنبياء لأقوامهم وغيرها التي جاء فيها فعل القول أو ما يرادفه في القرآن الكريم بأسره.

وقد امتلك أسلوب الشرط مكاناً مهماً في مجال إطالة الجملة فالمعروف ان الشرط يقوم على أداة الشرط وفعل الشرط وجواب الشرط وقد حرص النحاة في أمثلتهم التعليمية على ان يأتي الشرط وعناصره في صورة اتصال بينها، لكن وردت في القرآن الكريم بعض المواضع التي امتدت فيها جملة الشرط امتداداً طويلاً إلى مساحة من القول كبيرة ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى:

[إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١)وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢)وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤)وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥)وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧)وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨)بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩)وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ(١٤)] (التكوير/ ١ – ١٤).

فقد جاءت أداة الشرط وبعدها جملة فعل الشرط في اثنتي عشرة آية وهي تدل على ما يجري في يوم الحشر عبر تنوع الشرط لكن جواب الشرط يأتي متأخراً وهو قوله تعالى: [عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ] عبر مساحة من قول كبيرة يصلح هنا الجواب لافعال الشرط جميعها ذلك لان هذه الأفعال تحدث مجتمعة في وقت واحد والله اعلم. وقد تحقق عنصر التشويق بوضوح عبر امتداد جملة الشرط هذه وقد تحقق في كل فعل من أفعال الشرط ما يمكن الاستغناء عنه لانه يعطي حدثاً مهماً وبذلك تتعلق أفعال الشرط بعضها ببعض بوساطة العطف عبر توازن نحوي يكاد يكون متماثلاً في الآيات جميعها.

٣. جملة القسم:

ومن وسائل مدّ الجملة أسلوب القسم الذي يستدعي مقسماً به وجواباً له وقد عني النحويون في أمثلتهم التعليمية بان يكون جواب القسم بعد المقسم به مباشرة من غير فصل لكن ورد نمط آخر للقسم يتنوع فيه المقسم ويتأخر جواب القسم ليكون جملة طويلة نحو قوله تعالى: [وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١)وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا (٢)وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣)وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥)وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦)وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)] (الشمس/ ١ – ١٠)

فتنوع المقسم به عبر سبع آيات وجاء جواب القسم متأخر في قوله تعالى: [قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] ولم يكن جواباً واحداً. إنّ هذا الامتداد في بناء الجملة يعطي أسلوب القسم قدرة كبيرة على التأثير في المتلقي عبر تنويع المقسم به وتأخير الجواب بعد مساحة قولية متماثلة في تراكيبها إلى حد ما سواء في بنائها النحوي أم في بنائها الصرفي في معظم الآيات ليتحقق التوكيد بهذه الطريقة البليغة.

٤. جملة النداء :

يشكل النداء في القرآن الكريم وسيلة لمد الجملة وإطالتها إذ يؤلف المنادى مع أداة النداء وسيلة لغوية للتنبيه لما سيأتي بعد ذلك من أمر أو نهي أو دعاء أو استفهام أو غيرها من أساليب الطلب وذلك في آيات متلاحقة في مواضع عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: [رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢)رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣)رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)] (آل عمران/ ١٩٢ – ١٩٤).

فجاء النداء متكرراً ويمتد به القول حين يكون جوابه جملاً من الدعاء المباشر وغير المباشر وهذه الطريقة في البناء تستدعي التنويع في جواب النداء الذي تحقق بعد مجيء قوله تعالى: [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا] (آل عمران/ ١٩١) ويأتي الالتفات من الغيبة إلى التكلم لتحقيق في قول حذف فعل القول منه إيجازاً وقدرة رفيعة في التعبير عن إيمان هؤلاء جميعهم.

الخاتمة

إنّ هذه الشواهد البليغة التي جاءت لتسند ما ذكرناه من ان الجملة في القرآن الكريم امتلكت صفة الطول والامتداد، ان الشواهد هذه لها نظائر أخرى في القرآن وفي مصادر اللغة العالية من شعر ونثر وهي كافية لأن تكشف عن صورة للجملة العربية لما تألفها كتب النحويين التي حفلت بالأمثلة التعليمية واعطت الجملة القصيرة حيزاً كبيراً.

وقد تبين من البحث ان امتداد الجملة طريقة في التعبير لا تتاح إلا لمن خبر اللغة وامتلك ثراءها وعرف أسرارها إذ ان هذا النوع من الجمل يتكون من

جمل قصيرة تترابط فيما بينها بأحكام بطريقة تجعل أحد عنصريها بعيداً عن الآخر وعلى المتلقي المرور بعدد من الجمل حتى يصل إلى العنصر المتمم للفائدة.

لقد حفل القرآن الكريم ببناء لغوي محكم في جميع الانساق التي وردت فيه والجملة طويلة ضرب من ضروب التعبير المعجز الذي لا يضاهيه نص لغوي آخر لذا فلا بد من مراجعة جديدة لهذا الكتاب العظيم وان نتبين بناءه اللغوي المعجز استكمالا للدراسات القرآنية العديدة التي اتخذت من القرآن الكريم مصدراً لها.

والله وليّ التوفيق

المصادر والمراجع

١. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق هـ. ريتر، استانبول، ١٩٥٤.

٢. الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.

٣. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد محمود شاكر، القاهرة، ١٩٨٤.

٤. سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، ط/ الثانية، دمشق، ١٩٩٣.

٥. شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٦. في النحو العربي نقد وتوجيه، د.مهدي المخزومي، ط/ الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.

٧. الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم، ١٩٦٦.

٨. مغني اللبيب، لابن هشام، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، ١٩٨٥.

٩. المفصل، للزمخشري، ط.أمين الخانجي، مصر، ١٣٢٣هـ.

١٠. المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق، د.كاظم بحر المرجان، بغداد، ١٩٨٢.